د . يسري خميس

أغنية من كورنيليا

مؤكد ، بأنه هناك في مكان ما ، من ذلك العالم شمس اخرى ، اجمل من تلك التي نعرفها ، وبحر اعمق من هذا الذي نمشي عليه رمل ، حنانه على اجسادنا اكثر . شط مختلف ، اقل قسوة من هذه الشطوط . يمكننا هناك ان نحب او نموت ـ في رحم العالم ليس خارجه ـ وان اكون فيك حرا ، كاملا ، خفيفا ، ونضرا كالصبح في عينيك . يمكننا هناك ان نحب دون ان نحس اننا نخون . الياسمين لم يفترش شعرك ، بل تدوسه الاقدام ـ اسود فوق الشجر الزيتون ، وسقط الليمون حامضا ، لم يقطف . والشمس لم تزل خيانة ، والسمك المقتول يزداد فوق سطح البحر .
كيف لنا ان نخطو ؟

المانيا الغربية

ومد يده عبر الصمت . لمسها للتأكد من قربها منه... من وجودها الى جانبه .

ـ هل حقا تقفين امامي ؟ آه رائعتي .. هل حقا سنتابع قصتنا للحب والتراب معا ؟

ابتسمت بخجل . وامالت وجهها فوقه . فاحاط شعرها الاسود الحنون بوجهه ، واعتراف خجول المذاق ينزلق من فمها الكرزي ، وينام في عنقه :

ـ احبك ..

شعر بنشوة محلقة ... ولم يصدق .

●

عندما كان صغيرا . خط لها على الاوراق البيضاء كثيرا من كلمات الحب والحنين . تذكر هذا .. وهو يزيح شعرها المتناثر على الورود الصفيرة المبعثرة على منامتها فوق الكتفين . بينما كانت خيوط النور المتسربة من النافذة الى الداخل تشكل على الارض مربعا مليئا بالضوء الشاحب .

تأمل عينيها الواسعتين الجميلتين برهة من الزمن ، ثم اخفى وجهه في عنقها ، وتلمس بشفتيه منابت شعرها الاسود المحمل بعطر الصباح ونداوته ، ثم انزلقا معا في دفء التراب ، وهو ينزع عنها منامتها الوردية الرقيقة .

●

علا ضحكها وهي تقفز وتقف في وسط الغرفة ، ممددة القامة . تنظر اليه ... تنتظر منه جوابه . كان فمه فافرا ، وعيناه تحملان دهشة طفولية . سألها غير مصدق :

ـ احقا ؟.

صفقت بيديها فرحة . ثم دارت حول نفسها .. فتطايرت منامتها الشفافة ، وتداخلت الوان ورودها بالوان اوراقها الخضراء . ثم عادت اليه . ونامت على صدره الدافىء .

همس في اذنها . وهو يعيش فرحته :

ـ ماذا سنسميه ؟

رفعت اليه وجهها . وشيء ما يحكي عن توهج الشمس في عينيها الرائعتين ... تأملت وجهه بشغف . وهي تقول بخفوت شديد :

ـ فرح ..

ـ فرح !

كانت رنة التعجب في صوته واضحة . تابعت :

ـ نعم فرح .. اليس هو اسما جميلا ؟

طوقها بذراعيه برفق . ثم شدها الى نفسه باحكام حتى اصبحا جسما واحدا وتمتم ، وفمه بين شعرها :

ـ بلى .. انه لاجمل الاسماء .

●

عندما اتاها الطلق في اخر الليل . كان يحلم بذكريات قديمة عاشاها معا . يوم كانا طفلين صغيرين .. وعندما اشتد عليها الطلق . كان يحاول ان يمسح الحزن عن عينيها الواسعتين اللتين يحبهما حتى الموت . فابتسم لها . وضغط على اصابعها مشددا من عزيمتها :

ـ سيأتي فرحنا الصغير .. وتنسين كل الآلام ..

ابتسمت له رغم عذابها . كانت تعض على شفتها السفلى بتوجع ظاهر ، والعرق يتصبب من جبينها ... طوقت عنقه عندما رأت الالم في عينيه . وقالت ، كانها تتمم حديثا لهما ، كان قد انقطع منذ برهة قصيرة :

ـ ... والبيت سيكون من تلك البيوت المبنية من الاحجار ...

شدت اسنانها البيضاء على شفتها السفلى مدة من الزمن ، ثم تابعت بصوت اكثر خفوتا :

ـ وسقفه .. سيكون من السقوف القرميدية الحمراء .. اما الاشجار ...

وشهقت ، وهي تشد على يده وتضغط عليها ، كانت تعيش حالة طلق اخرى .

شعر بشيء يعتصر قلبه . كان لا يعرف كيف يتصرف . نظرت اليه بعينين غائمتين رائعتين تشع فيهما بسمة عذبة رقيقة ، ثم قالت له عندما لمست خوفه المرسوم على وجهه :

ـ لا تخف ... انها حالة ولادة لا غير .

حلب ـ سوريا